فردرك هريسن

FREDERIC HARRISON.

انبأنا البرق ان الشيخ الجليل والكاتب الاكتب فردرك هريسن توفي فجأةً وهو في الحادية والتسعين من عمر قضاهُ بين المحابر والدفاتر يعلّم ويناظر ويجاهر بما يراهُ حقًّا ويحمل على خصومهِ في الدين والسياسة والاجتماع حملات صادقات. لكن سمو افكارهُ وبلاغة انشائهِ ونبالة مقاصدهِ وتفانيهِ في حب وطنهِ وابناء نوعهِ كل ذلك حبَّبهُ الى قراء ما كتبهُ ولو من خصومهِ

ولد في مدينة لندن في ١٨ اكتوبر ١٨٣١ وابوهُ تاجر من تجارها وأرسل الى كلية الملك فيها وعمرهُ ١١ سنة فاتمَّ دروسها وخرج منها سنة ١٨٤٩ وليس من تلامذتها اعلى منهُ الاَّ تلميذ واحد. وكان قد اختير تلميذاً في جامعة اكسفرد اي مُنح التعلُّم فيها مجاناً لاجتهادهِ فاتمَّ دروسهُ وجعل مدرساً فيها فاقام ثماني سنوات تلميذاً ومدرّساً كانت محكًّا لعقلهِ وعقيدتهِ فوصل الى ما رسخ في ذهنهِ وجرى عليهِ حياتهُ كلها

دخل شديد التمسك بشعائر الدين فخرج كثير الشكوك وقادهُ ذلك الى القول بمذهب اهل البوزيتيفزم Positivism (اي الذين لا يؤمنون الاَّ بما تقوم الادلة القاطعة على صحتهِ وقد اطلقنا عليهم اسم الفلاسفة اليقينيين وعلى مذهبهم اسم المذهب اليقيني) جرياً مجرى استاذهِ رتشرد كونغريف Richard Congreve من زعماء المذهب اليقيني في البلاد الانكليزية ولكنهُ لم يعتنق هذا المذهب اعتناقاً تاماً الاَّ حينما صار عمرهُ ٣٥ سنة وقد قال في ذلك ما ترجمتهُ

« بلغت الخامسة والثلاثين قبلما تشبَّعت نفسي من المذهب اليقيني فقد تفرغت لدرسهِ عشر سنوات او اثنتي عشرة سنة كان لي الملم بمذهب كونت وانا تلميذ ولكنني لم اقف على تفاصيلهِ الاَّ لما بلغت الخامسة والعشرين »

وسنة ١٨٦٦ ظهر كتاب « السياسة الدولية » International Policy لمحررهِ رتشرد كونغريف وكان هريسون من الذين كتبوا فيهِ وكذلك الاستاذ بيزلي والمستر بمر والدكتور بردجس والسر تشارلس كوكسن والمستر هتون

وكلهم من انصار المذهب اليقيني الذين اتخذوهُ قانوناً للافكار والآداب. وكان هريسن اشدهم بهِ تمسكاً وله انتصاراً وعنهُ دفاعاً وهو الذي انشأ المدرسة اليقينية في بلاد الانكليز سنة ١٨٧٠ وكان ركن الجمعية اليقينية ومرشدها

لكن مقام هريسن في البلاد الانكليزية وفي غيرها من البلدان مبني على آرائهِ السياسية والاجتماعية لا على اقوالهِ الفلسفية والدينية فقد بقي خمسين سنة يشير الى المانيا بعين المرتاب مبيّناً انها تضمر السوء لبلادهِ وللعمران اجمع ونشر سنة ١٩١٥ كتاباً عنوانهُ « الخطر الالماني The German Peril ونحو نصفهِ مقالات نشرها في ازمنة مختلفة وكلها تنبيه عما كانت المانيا تتوخاهُ . ونحن نكتب هذه السطور وهذا الكتاب امامنا وفيهِ خلاصة آرائهِ السياسية والاجتماعية والى القارىء بعض امثلة منهُ . كتب في يونيو سنة ١٨٦٢ ما ترجمتهُ

« ان مصلحة انكلترا وشرفها كدولة اوربية مرتبطان باعادة بولونيا الى اصلها. وقد تنال هذه البغية بالحكمة والمسالمة من غير حرب ولكن اذا كان لا بدّ من الحرب فلتكن ويجب على انكلترا ان تعاون فرنسا في هذا السبيل »

وكتب سنة ١٨٦٦ بعدما تغلبت بروسيا على النمسا وقويت شوكتها فاوجست فرنسا منها شرًّا

« ان الاساس الوحيد الذي يجب ان تؤسس عليهِ السياسة الانكليزية هو التفاهم التام مع فرنسا. ولا اعني بذلك ان نحالف فرنسا ولا ان نوافق على السياسة النبوليونية بل ان نتفق مع الشعب الفرنسوي على سياسة عامة فاننا اذا اتفقنا معهُ اتفاقاً دائماً في السياسة عدلت روسيا عما تنويهِ لغرب اوربا ورأت بروسيا انهُ لم يبقَ في الاحتمال ان يقع بين انكلترا وفرنسا اختلاف يمكّنها من اتباع سياستها الغاشمة سياسة الصلف والغطرسة .وتجد الدول الصغيرة ما يزيل مخاوفها من اقتحام بلادها

وكتب في دسمبر سنة ١٨٧٠ اما كانت فرنسا مشتبكة في الحرب مع المانيا «ان الالمان يحاربون قصد المجد وغرضهم ان يبنوا امبراطورية جديدة على السيف » فخالف في ذلك كثيرين من مواطنيهِ حتى الاحرار منهم

وانبأ بالحرب الاوربية قبل وقوعها وقال ان المانيا كانت تستعد لها ولا بدّ من

ان تضرم نارها . وكتب في نوفمبر سنة ١٩١٢ مقالة مسهبة نشرت في اول يناير سنة ١٩١٣ اكّد فيها ان المانيا تتأهب لهذه الحرب وقولهُ منها « ان مفتاح السياسة الاوربية هو النظام البديع في المانيا الذي اعدها للحرب والعلم والصناعة. مركزها في قلب اوربة بين سبع ممالك مختلفة معادية لها وقلة سواحلها البحرية وعو سكانها وفوق ذلك كلهِ كبرياؤها وطمعها وتعطشها للتوسع . امة عظيمة خمسة وستون مليوناً من النفوس لها من وسائل السلم والحرب ما لا يحدُّ ومن الاعتداد بالنفس ما لا يقف عند حدّ. امة مثل هذه تجد نفسها محوطة بحلقة محكمة تمنع توسّعها وتقف دون مطامعها هناك بركان يتهيأ للانفجار تحت نظام الممالك الاوربية

« لو كان الشعب الالماني مؤلفاً كلهُ من اهل الزراعة محبي السلام ومن الصناع القانعين بصناعاتهم . ولو كان الحزب الاشتراكي فيها قادراً ان يكبح جماح رجال السياسة ولو كان امبراطورهم يستطيع ان يعمل دائماً بالحكمة والاعتدال كما يعمد لها اوجس جيرانهم منهم خيفة. ولكن كلة «لو» لا تفيد شيئاً في عصرنا فان في المانيا غير الستين مليوناً من الصناع والعمال محبي السلام ملايين من رجال الحرب الذين لا يحلمون الاّ بالابهة ولا يقنعون الا اذا نالوا اكاليل الظفر في حومة القتال. فيها الوف من اهل النطرسة الذين يعيشون للحرب ويغتذون من الحرب ولا عمل لهم الا التأهب للحرب وقد ورثوا ذلك ابا عن جد وهم اصحاب السيادة والكلمة كلمتهم وفي يدهم تدبير الامبراطورية الالمانية سياسياً وحربياً يناصرهم في ذلك جماعة كبيرة من رجال القلم والتعليم »

وعثل هذه الحدّة وهذا البيان كان ينتقد كل نظام وكل عمل يراهُ مناقضاً للعدل والانصاف ولمصلحة بلادهِ . وكان من رأيهِ ان تتخلى انكلترا عن كل مستعمراتها التي سكانها من غير الشعب البريطاني

واقترن سنة ١٨٧٠ ببنة عمهِ فرزق منها ابنة وأربعة أبناء جرح واحد منهم في الحرب العظمى سنة ١٩١٥ جروحاً قضت عليهِ

وكانت وفاة هريسن في الرابع عشر من شهر يناير الماضي فقضى مذكوراً بفضائلهِ مأسوفاً عليهِ من مريديهِ الكثيرين